

الفصل الدراسي الثاني

جماعة المهجر:

في الوقت الذي كانت فيه جماعة الديوان تغني أدبنا العربي الحديث في المشرق بالمفاهيم الجديدة والأفكار الحديثة والمعاني المبتكرة تلبية لدواعي العصر وتجسيدا لمضامينه الاجتماعية والسياسية والفكرية والإنسانية. كان أدباء المهجر وشعراؤهم في المهجر الشمالي والمهجر الجنوبي يندفعون في هذا التيار التجديدي، ليحققوا مثل إخوانهم في المشرق ما تفرضه عليهم بيئتهم الجديدة وحياتهم المعاصرة تجسيدا لما تتطلبه تلك الحياة في عالمهم الجديد، وتأثراً بما كان يجري في تلك البيئة من تطور ربما لم تصل ريحه إلى شرقنا العربي.

بواعث الهجرة وظروف النشأة:

يجمع معظم الدارسين أن وراء الهجرة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وأدبية ونفسية، وهذه الأسباب قد تضافرت جميعها أو معظمها على هجرة المئات من اللبنانيين والسوريين ممن تهيأت لهم ظروف الهجرة إلى قارات بعيدة.

س/ ماهي الأسباب التي أدت إلى هجرة كثير من اللبنانيين والسوريين إلى بلاد الغرب:

1. العامل الاقتصادي: هذا الباعث يتصدر العوامل الأخرى ولا يزال يدفع بالكثيرين إلى تحمل متاعب الغربة لتحسين الأوضاع الاقتصادية التي يعانون منها في أوطانهم.
2. العامل الاجتماعي والنفسي: وتمثلت في عوامل الاستجابة للمبشرين الأجانب الوافدين إليهم من أمريكا وأوروبا(الحركات التبشيرية) مما دفعهم إلى أن يجوبوا أقطار الأرض ويستجيبوا للتطلعات البعيدة.
3. العامل التاريخي: إذ كان يدفع السوريين واللبنانيين الانتماء إلى أجدادهم الفينيقيين إلى أن يجوبوا البحار ويقطعوا المحيطات غير هيايين ولا عاجزين، وقد دفعهم هذا الشعور إلى الطموح وتحقيق أحلامهم في الغنى والثراء والتخلص من الفقر الذي يهدد حياتهم ومستقبلهم.

4- ودعايات السياح الاجانب .

5. تشجيع شركات الملاحة.

ولقد عانوا فور وصولهم القارة الجديدة الحرمان والفقر، وشعروا بجرح كرامتهم، وتمنى بعضهم لو لم يقدم على الهجرة. ولاحت لهم صور لبنان وسوريا مما يجسد حنينهم إلى بلادهم ويثير العواطف الإنسانية والأحاسيس القوية.

النشاط الأدبي: استطاع الجانب الأدبي لهؤلاء الأدباء أن يشق طريقه في تلك الأصقاع البعيدة على الرغم من الصعاب التي جابهته. ولقد تمثل هذا النشاط فيما سعى إليه أدباء المهجر وشعراؤه من تأسيس الجمعيات الأدبية التي لبي نداء تأسيسها كوكبة من الشعراء والأدباء. وأهمها

1- الرابطة القلمية في المهجر الشمالي:

تأسست في 20 نيسان 1920م، وعكست هذه الجمعية نشاط الأدباء في الولايات المتحدة ممثلة بمجموعة يتصدرها جبران خليل جبران ، وميخائل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، ونسيب عريضة، ورشيد أيوب ، وندرة حداد ، والريحاني ، وأمين مشرف.

2- العصبة الاندلسية في المهجر الجنوبي:

تأسست عام 1933م، يتقدمها ميشال المعلوف، وشفيق المعلوف، والشاعر القروي، ونعمة قازان، وإلياس فرحات، وسلمى الصائغ وغيرهم. ويشتد نشاط هؤلاء وأولئك حتى تستنفر عدداً من المعنيين بأدبهم فيكتبون عنهم وينشرون نتاجهم ويطبعون دواوينهم ودراساتهم. ويتولى ذلك نخبة من أشهر أدباء الأقطار العربية أمثال العقاد، والمازني، ومحبي الدين رضا، ونادرة سراج، وإحسان عباس، ومحمد يوسف نجم، وغيرهم. وليس هذا حسب فقد كان للتجديد الذي حققه أدب المهجر صدى جيد في نفوس أدباء المشرق فإذا هم ينسجون على منواله ويكتبون على غرارهم وينتهجون منهجه فيكون لأسلوب جبران والريحاني وأمين مشرف صدى في أساليب كثيرين من أمثال مي زيادة والمنفلوطي، بل إن أول تنظير نقدي عربي حديث ممثلاً بكتاب الديوان للعقاد والمازني يلتقي في أفكاره ومناهجه وآرائه بكتاب الغربال لميخائيل نعيمة.

لقد أقر زعماء جماعة الرابطة القلمية شروطاً معينة لتأسيسها وحددوا أهدافها الأدبية والإنسانية وأصدرت الجماعة سنة 1921م مجلة الرابطة القلمية واشترك في تحريرها جبران، ونعيمة، وعريضة، وأيوب وغيرهم.

نشاط جماعة المهجر:

اتسع نشاط أدباء الرابطة القلمية لكل اتجاه شعري وفن أدبي ومن أنشطتهم :

1- نظموا الشعر وأبدعوا في انتقاء مواضيعه وقوالبه.

2- كتبوا نثراً عاطفياً وتصويرياً واجتماعياً فكان نثرهم شعراً رائعاً ساحراً.

- 3- كتبوا في القصة والرواية فكان أجود ما عرفه الأدب العربي في فن القصة.
- 3- نهج أغلبهم في آدابهم النهج الفلسفي.
- 5- أسست الجماعة مجلتها الأدبية التي اتسعت للفنون الشعرية والأدبية على السواء.
- 6- كما نشطت في كتابة المقالات الأدبية.
- 7 - ترجموا الأدب العربي ونشروا الكثير من الدواوين والدراسات الأدبية والنقدية والأعمال القصصية والملاحم الشعرية وقد وصل معظمها إلى الشرق.
- 8- أصدروا الجرائد منها جريدة الهدى ومرآة الغرب والبيان والسمير والسائح.

الشعر واتجاهاته:

إذا كان شعراء الديوان وشعراء أبولو قد نهضوا بالشعر العربي في الشرق فقد كان شعراء المهجر في أمريكا يخطون خطوة مماثلة نهضت بالشعر نهضة واضحة عبر فيها الشعراء عن نفوسهم وما اختلج فيها من خواطر وأفكار وتأملات في النفس والحياة والطبيعة وحول هذه المسائل دار شعرهم كما دار حولها شعراء المشرق وهو توارد في الخواطر عجيب وأعجب منه ما صدر عنه نقدمه الذي التقى بنقد إخوانهم المتمثل بكتاب الديوان الذي أصدره العقاد والمازني فإذا بكتاب الغربال الذي أصدره ميخائيل نعيمة يلتقي بخطوطه العريضة وأفكاره العامة ومنهجه الذي صدر عنه مع كتاب الديوان وهذا يعني أن الجسور التي كانت تصل شعراء المشرق بشعراء المهجر قد أكدت وحدثهم الفكرية.

ومن ذلك أن ديوان (همس الجفون) لميخائيل نعيمة قام على خواطر نفسية وتأملات فلسفية وأفكار في الزهد والتصوف. ولا يقف هذا على شعر نعيمة وحسب وإنما يتجاوزه إلى معظم شعراء المهجر ولعل أسماء دواوينهم الشعرية يمكن أن تعكس جوهر الشعر لديهم فهي إما أسماء مستقاة من الطبيعة بمظاهرها المختلفة كالجدول، والخمائل، وأوراق الخريف، وإما أسماء معبرة عن حالات نفسية وأفكار فلسفية تأملية مثل الأرواح الحائرة وأغاني الدرويش وغيرها.

وبالعودة إلى عناوين شعر شكري والعقاد وناجي وأبي شادي وعلي محمود طه ومحمود حسن إسماعيل نستطيع أن نفهم كيف اتفقت مواقف شعراء المهجر مع شعراء المشرق وهو اتفاق عجيب يؤكد وحدة شعرائنا وصدورهم عن حالة واحدة.

ولقد اتجه شعر المهجر اتجاهات عديدة يمكن أن نجملها بما يأتي:

الاتجاه التأملي النفسي، والاتجاه الوصفي، والاتجاه الإنساني، والاتجاه العاطفي، والاتجاه

الوطني والقومي.

أولاً- الاتجاه التأملي النفسي: مهم

ليس شعر التأمل الفكري والفلسفي جديداً في شعرنا العربي فقد أثار ابن الرومي وأبو تمام والمنتبي وأبو العلاء المعري في شعرهم مسائل تأملية وقضايا فكرية لا يمكن اغفالها. إلا أن اتجاه شعر المهجر التأملي أصبح يشكل ظاهرة عامة ربما فاقت كل خواطرهم الشعرية، وكانت الظروف القاسية التي واجهت شعراء المهجر سبباً في بروز هذا الاتجاه، فقد ترك هؤلاء أوطانهم وغادروا أهلهم وواجهوا بيئة جديدة وظروفاً اقتصادية ونفسية صعبة انعكست في شعرهم حنيناً إلى أهلهم، وحباً إلى أوطانهم فراحوا يعبرون عنها بالمعاني المتناقضة من يقين وشك، ورضى وسخطٍ وقلق وطمأنينة وغمى وفقر وتفائل وتشاؤم. وعلى الرغم من أن هذه المعاني قد حققت في شعرهم تجديداً ملحوظاً، إذ جسد ما كان ينتابهم من قلق واضطراب وحيرة، ولا سيما في المراحل الأولى من حياتهم، إلا أنها تحولت فيما بعد إلى قضايا كبيرة زلزلت كياناتهم، وعمقت إحساسهم بالألم، وانتهت بالكثيرين إلى زغزغة تقتهم بالحياة والكون، وصارت فيما بعدنذ تناقش الكثير من المسائل الجديدة، فقد جرتهم إلى مجال النظر الفلسفي الذي يناقش الأسباب ويبحث عن العلل، ومما ساعدهم على إثارة هذه التساؤلات الحرية الفكرية التي تمتع بها هؤلاء الشعراء في بيئتهم الجديدة. وربما انتهى ذلك عند بعضهم إلى الإيمان بوحدة الأديان ووحدة الوجود وإن شعر جبران في مواكبه المشهورة يشكل وحده ظاهرة ملحوظة في هذا الاتجاه، فهو يسوق مقارنة طريفة بين الحياة الجديدة التي يحيها الإنسان في ظل الحضارة المادية وبين حياة الغاب التي لم تلوثها أطماع البشر ولم تدنسها الشرور والأحقاد.

س/ لماذا اتجه شعراء المهجر إلى شعر الغاب؟

الغابة هي المكان الوحيد للنقاء من الحياة الحضارية، وهي ملكوت الله في الأرض ، ولأنها خالية من كل مظاهر التسلط والرياء والعنف، ولم تطلها يد التغيير، والدليل على ذلك الاتجاه عناوين الدواوين التي تقترب من جو الشعر وتميل إلى الطبيعة، فهناك الجداول، والخمائل لأبي ماضي وريحانيات الريحاني، ومطولة بساط الريح وشعلة العذاب لفوزي المعلوف. ونأخذ احد نماذج هذا الاتجاه

قصيدة المواكب لجبران خليل جبران التي يقول: (حفظ 6 أبيات)

الخير في الناس مصنوع إذا جبروا والشر في الناس لا يفنى إذا قبروا
وأكثر الناس آلات تحركها أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر
فأفضل الناس قطعان يسير بها صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر
ليس في الغابات راع لا ولا فيها القطيع
فالشتا يمشي ولكن لا يجاربه الربيع
خلق الناس عبداً للذي يأبى الخضوع

ويقول في القصيدة نفسها (حفظ 3 أبيات)

أعطني الناي وغني فالغنا سر الخلو
وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود
هل اتخذت الغاب مثلي منزلاً دون القصور
فتتبعت السواقي وتسلقت الصخور
هل تحممت بعطر وتنشفت بنور
وشربت الفجر خمراً في كؤوس من أثير
هل جلست العصر مثلي بين جفنات العنب
والعناقيد تدلت كثريرات الذهب
فهي للصادي عيون ولمن جاع طعام
وهي شهد وهي عطر ولمن شاء المدام

(الصادي : العطشان) ، تعتمد القصيدة على تكرار بيتين أساسيين هما:

أعطني الناي وغني فالغنا سر الخلود

فهي كلازمة له في القصيدة وكل مرة يختار تعبيراً مناسباً مع السياق، فمثلاً عند التحدث عن الخمر والمدمام تتغير اللازمة فيقول:

أعطني الناي وغني فالغنا خير شراب
وأنين الناي يبقى بعد أن تفنى الهضاب

فالشاعر يحن إلى بلاده وينبعث صوته من الداخل كالناي، ويفضل حياة الغابة على حياة القصور لخلوها من المظاهر الكاذبة ، ويوظف في الأبيات نظرية تراسل الحواس في قوله هل

تحملت بغير... وتنشفت بنور

الأثير _____ الروح ، الخمر _____ تذهب بالعقول والكحول
مركب أثري ذو رائحة طيارة.

مظاهر الشعر التأملي وتجلياته

1 / الغابة أو اليوتوبيا: وهي قريبة جداً من العالم المثالي الذي لا تلوته مظاهر الحياة

الحضارية وأطباع الإنسان التي كان يبحث عنها ويسعى إليها، ولا شك أن أفكارها ومعانيها لم تخطر على بال شعرائنا في الشرق إلا في القليل النادر، وهي معانٍ احتفظ بريادتها شعراء المهجر وجبران بالذات. ولم يكن هذا الشاعر هو الوحيد الباحث عن عالمه المفقود فإذا كانت قصيدته (الأرض المحبوبة) قد عكست عالمه فإن إيليا قد سعى إلى نشدان عالم مماثل في قصيدته الغابة المفقودة لكن غاية أبي ماضي هي أيضاً اليوتوبيا التي لا تلبث أن تصير بعيدة التحقق بسبب أطماع الإنسان ودماره وشره.

ويبدو أن شعراء المهجر الشمالي كانوا أكثر ميلاً إلى هذا الاتجاه التأملي وربما يعود السبب إلى انبهارهم بالعنصر الحضاري الذي وجدوه في البيئة الأمريكية الجديدة. تعريف النيرفانا: لفظ سنسكريتي يطلق عند البوذيين على الخير الأعلى وهو إحماء الذات الفردية في الكل، ويطلق على السعادة العقلية والوجدانية التي يمكن بلوغها بإنكار إرادة الحياة والإعراض عن مصالح الذات الفردية، وهي مرادفة للفناء لدى الصوفية الذي هو عدم شعور الشخص بنفسه أو بشيء من لوازم نفسه.

وتعد قصيدة الطلاس محاولة واضحة للإجابة عن أسرار الحياة والوجود التي جهلتها الإنسانية. وقد وقف الشاعر فيها موقفاً متشككاً ربما وصل مداه إلى مذهب (اللا أدرية) وهي قصيدة طويلة تتجه كل معانيها إلى تساؤلات ولا يصل صاحبها في معالجاته إلى حل، ويكفي أن يدل عنوانها على هذا الاتجاه. يقول إيليا: (حفظ المقطع)

جئت لا أعلم من أين ولكني اتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

وسأبقي سائراً إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت، كيف أبصرت طريقي

لست أدري

2/ ومن أشد مظاهر الاتجاه التأملي في شعر المهجر فكرة وحدة الوجود التي يرى معتقوها أن الله سبحانه وتعالى يتجلى في كل شيء خلقه في الإنسان والحيوان وفي النبات وفي الجماد بل وفي كل موجود يقول شكر الله الجبر: (حفظ المقطع)

وعلام القول إن الله قد حجب عنا

هو في النهر وفي الحقل وفي الغصن تثنى

هو في البحر وفي الريح وفي الغابة غنى

هو في الأكوان مذ كانت وفينا منذ كنا

وظلت فكرة وحدة الوجود في الشعر الحديث تطفو على سطح القصيدة لدى الزهاوي والرصافي وغيرهما، إذ لم تشكل ظاهرة شعرية واضحة حتى تم لها ذلك عند شعراء المهجر. س/ بماذا تجلت مظاهر الشعر في الاتجاه التأملي لدى شعراء المهجر؟

1- اليوتوبيا. 2- وحدة الوجود. 3- الثنائية. 4 - اللا أدريّة

3/ ومن الأفكار التي راودت شعراء المهجر وضمنوها شعرهم فكرة الثنائية ويظهر فيها التناقض في النفس الإنسانية كالتناقض بين الخير والشر والجمال والقبح، والرائد هذه الفكرة ميخائيل نعيمة الذي تعذب في ظل مفهومها كثيراً.

وفي ظل الاتجاه التأملي النفسي بحث شعراء المهجر خلود النفس الإنسانية التي لا تفنى بفناء الجسم بعد الموت. وقد تفنن شعراء المهجر في المعاني التي عالجوا فيها النفس وضمنوها هذا الاتجاه التأملي بحيث لم يتركوا ظاهرة من ظواهر الحياة التي تتصل بالنفس الإنسانية إلا وعالجوها، فقد التفتوا إلى الموت لصلته بالنفس ورأوا فيه خلاصاً من مشكلة الوجود الذي حيرهم أو العذاب النفسي الذي انتابهم، فإذا بهم يهتفون به ويرحبون بمقدمه تماماً كما فعل شعراء الديوان. ذلك هو الاتجاه التأملي النفسي في الشعر المهجري وهو كما رأيناه يتضح لدى مهجري الشمال أكثر مما يظهر في شعر أهل الجنوب بسبب طبيعة الحياة المادية التي طوقت حياة الشماليين ووضعتهم وجهاً لوجه أمام التناقض بين إيمانهم بمثلهم الدينية وقيمهم الروحية التي فطروا عليها التي عصفت بها التيارات المادية والعلمية وبين مجابتهن هذه الحياة التي لا تقيس الأشياء إلا بهذا المقياس المادي الحضاري.

علي/ نستطيع القول إن الأدب العربي لم يعرف الأدب التأملي قط كما عرفه أدب المهجر؟

الذي يقرأ أدبهم التأملي يرى أنهم كانوا في تأملاتهم يتحررون من طبيعة الطين ويسمون

فوق الحياة وفوق البشر ويخلقون بأخيلتهم في عوالم مجهولة يحللون النفس الإنسانية ويصورونها بدقة ويحاولون إمطة اللثام عن أسرار الحياة وأسرار ما وراء الحياة وفي كثير من هذه التأملات يحدوهم الشك ولكنه الشك الباحث عن الحقيقة المتطلع إلى تحقيق مثل إنسانية عليا خالدة، لذلك نستطيع القول إن الأدب العربي لم يعرف الأدب التأملي قط كما عرفه أدب المهجر.